خالًا وابعدها استخراجًا لان ما لا يفهمه مُكَلِّمك فانت بن فهمه ابعد الا ان يكون
لفرط ذكايك وجودة خاطرك تتنبه باشارته على استنباط ما عجز عنه واستخراج
ما قصّر فيه فتكون فضيلة الاستيفاء لك وحق التقدم له وامّا المواضعة
فضربان عام وخاص فالعام كمواضعة العلماء فيما جعلوه القابًا للمعاني التي
لا يستغني المتعلم عنها ولا يقف على معاني كلامهم الا بها كما جعل المتكلمون للجوهر
والعرض والجسم القابًا تواضعوها للمعاني اتفقوا عليها ولست تجد من العلوم علمًا
يخلو من هذا وهذه المواضعة العامة تسمى عرفًا والله اعلم وامّا الخاصة فمواضعة
الواحد يقصد باطن كلامه غير ظاهره فان كانت في الكلام كانت رمزًا
وان كانت في الشعر كانت لغزًا فامّا الرمز فلست تجده في كلام متغنوي
ولا كلام لغوي وانما يختص غالبًا باحد شيئين اما مذهب شنيع يخفيه معتقده
ويجعل الرمز به سببًا لتطلع النفوس اليه واحتمال التاويل فيه سببًا لدفع التهمة
عنه واما ما يدعي اربابه انه علم معوز وان ادراكه بديع معجز كالصنعة التي
وضعها اربابها اسمًا لعلم الكيمياء فرمزوا اوصافه واخفوا معانيه ليوهموا الشح
به والاسف عليه خديعة للعقول الواهية والاراء الفاسدة وقد قال الشاعر

منعت شيئًا فاكثرت الولوع به ... احب شيء الى الانسان ما منعا

ثم لم يكونوا ابرياء من عهدة ما قالوه اذا جرب ولو كان ما تضمن هذان النوعان واشباههما
حقًا وعلمًا مستفادًا لخرج من الرمز الخفي الى اللفظ الجلي فان اغراض الناس مع اختلاف
اهوايهم لا تتفق على ستر سليم واخفاء مفيد وقد قال زهير

والستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعاني وتعظيمه من الالفاظ ليكون احلى
في القلوب موقعًا واعلى في النفوس موضعًا فيصير بالرمز سائرًا وفي الصحف مخلدًا كالذي
يحكى عن فيثاغورس في وصاياه المرموزة انه قال احفظ ميزانك عن الندا واوزانك
عن الصدا واحفظ الميزان من الندى حفظ اللسان من الخنا وحفظ الاوزان من الصدا
حفظ العقل من الهوى فصار بهذا الرمز مستحسنًا ومدونًا ولو قاله باللفظ الصريح
والمعنى الفصيح لما سار عنه ولا استحسن منه وعلة ذلك ان المحجوب عن الافهام

كالمحجوب

كالمحجوب عن الابصار فيما يحصل له في النفوس من التعظيم وفي القلوب من التفخيم وما
ظهر منها ولم يحتجب هان واستُرذِل وهذا انما يصح استجلاؤه فيما قل وهو باللفظ
الصريح مستثقل فامّا العلوم المنتشرة التي تتطلع النفوس اليها فقد استغنت
بقوة الباعث عليها وشدة الداعي اليها عن الاستدعاء اليها برمز مستخيل
ولفظ مستغرب بل ذلك منفر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها
من الابطاء عن ذكرها وتصور معانيها وهذا حال الرمز وامّا اللغز
فهو تحدّي اهل الفراغ وشغل ذوي البطالة ليتنافسوا في تباين قرايحهم ويتفاخروا
في سرعة خواطرهم فيستنكد واخواطر قد منحوا صحتها فيما لا يجدي نفعًا
ولا يفيد علمًا فهم كاهل الصراع الذين قد صرفوا ما منحوه من صحة اجسامهم
الى صراع كدود يصرع عقولهم ويهد اجسامهم لا يكسبهم حمدًا ولا يجدي
عليهم انظروا الى قول الشاعر

رجل مات وخلّى رجلًا ... ابن ام ابن ابي اخت ابيه
معه ام بني اولاده ... وابو اخت ابني عم اخيه

اخبرني عن هاذين البيتين وقد روّعك صعوبة ما تضمنهما من السؤال
اذا استكدّ الفكر في استخراجه فعلمت انه اراد ميتًا خلف ابًا وزوجة وعمًّا
ما الذي افادك من العلم ونفى عنك من الجهل الست بعد علمه تجهل ما كنت جاهلًا
من قبله ولو ان السائل قلب لك السؤال فاخر ما قدم وقدم ما اخر لكنت
في الجهل به قبل استخراجه كما كنت في الجهل بالاول فقد كددت فكرك
واتعبت خاطرك ثم لا تعدم ان يرد عليك مثل هذا مما تجهله فتكون فيه كما
كنت فيما قبله فاصرف نفسك تولى الله رشدك عن علوم النوكى وتكلف
البطالين فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه ثم اجعل ما من الله به عليك من صحة القريحة وسرعة
الخاطر مصروفًا الى علم تكون القريحة فيه مشكورًا فقد روى سعيد بن ابي
هند عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان
معبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ونحن نستعيذ بالله تعالى من ان

Copyright © King Saud University